



عم مينا والشيخ أمين

بقلم رائف محمد الويشي

20 يونيو 2013

ما زلت أذكر جيدا تلك الأيام التي أعقبت هزيمة 1967 ، في مدينتي البسيطة الجميلة المنصورة كانت القهوة المجاورة لمنزلنا في شارع الجلاء تمتلئ وتكثر الكراسي والطاولات أمامها حتى الرصيف المقابل ، كان الناس يتحدثون عما جرى وكيف تحدث تلك الكارثة بهذه السرعة ..

في الطرف الآخر من الشارع في مواجهة القهوة كان سور مدرسة الزراعة ، حوِّله الشباب إلى اللون الأبيض ، في ساعات النهار كان الشباب يقفون لساعات طويلة أمامه – ومثله في أماكن أخرى – يرسمون الجرافيك الذي يرفض الهزيمة ويصر على مواصلة القتال ..

كنت كطفل – 9 سنوات – أفضى النهار واقفا أمام سور المدرسة أشاهد الرسومات وأقرأ جيدا الكلمات التي تصاحبها ، في المساء أذهب للجلوس بجوار الرصيف المقابل للقهوة لأستمع إلى نقاش الناس الجالسين ..

**كانت مصر في تلك الأيام يدا واحدة ،** تشع البساطة والتلقائية والبسمة من وجوه الناس ، لم يكن هناك حينها نقاب ، أو طاقة شبيكة ، أو سواك ، أو جدل فقهي في فضائيات دينية على مدار الساعة في التوافه والقشور يسبب تورمات في المخ ، كانت هناك قنواتان للتلفاز تبث في ساعات محدودة ، لكنهما كانتا تسدان حاجتنا ، كان يمكن بوضوح أن يرى الإنسان الدين والعيب بحكماء معاملات الناس ، دون تكلف أو اصطناع ..

كان جرافيك السور والنقاشات الساخنة على القهوة لساعات يؤكدان لي على عمق الهزيمة ، لكنهما في الوقت ذاته كانا – برفضها الاستسلام – يؤكدان على أن الشعب لم يُهزم ..

**في مبنى غير بعيد عن منزلنا** كنت أسمع طوال ساعات النهار طلقات الرصاص ، كانت العربات لا تتوقف طوال ساعات النهار أو الليل ..

في ملعب كرة القدم المواجه لمدرستي – محمد عبده الابتدائية – كانت الطلقات أكثر غزارة ، لقد تحول المكانان إلى معسكرين للتدريب ، كانت العربات العسكرية الضخمة المليئة بالشباب دخولا أو خروجا منهما طوال ساعات النهار أو الليل تدل على أن الشعب لم يهزم والجيش في طريقه لاستعادة عافيته ..

في نهاية عام 1969 تحولت المنصورة بكاملها إلى ساحة من ساحات القتال الملتهب ، تنبه العدو إلى أن المدينة تحتضن في قرية صغيرة على أطرافها تسمى " شاة " أكبر قاعدة جوية بالجمهورية ، كان من السهل عليه معرفة ذلك من خلال راداراته التي رصدت كثافة طلعات التدريب للطائرات المصرية فوق المنصورة ..

حصل الإسرائيليون في نهاية العام على الفانتوم الطويل المدى وهاجموا " شاة " عدة مرات ، كان سطح منزلنا هو المكان الأفضل الذي أُرصد منه نتائج تلك الزيارات العدوانية ، في المساء كنا غالبا ما نقضى الليالي في ظلام داس ..

وحدها تلك الجماعة السرية – دون كافة المصريين – كانت تعبر عن فرحتها بالهزيمة التي نزلت بمصر ، هكذا دون وازع

من ضمير أو حس وطني ، كأن رجال تلك الجماعة لا ينتمون إلى نفس الوطن ..

( ملحوظة : مازالت جماعة الإخوان المسلمين حتى الآن رغم مرور تلك العقود تعبر عن فرحتها بالهزيمة التي نزلت بمصر في عام 1967 ، ويمكن مراجعة تصريحات مرشدهم محمد بديع في 9 مايو 2011 ، وهي متواجدة في مقال بعنوان : " حديث من القلب إلى السلفيين والإخوان المسلمين " لكاتب هذا المقال على مدونته ، هذا دون أن نغفل التصريح الخطير الذي أدلى به مرشدهم السابق - مهدي عاكف - في عام 2008 عندما قال : " طز في مصر " .. ) ..

أعتقد أن مصر الآن تمر بمرحلة أسوأ كثيرا من تلك التي مرت بها في أعقاب هزيمة 1967 ، السبب يعود إلى أن الشعب يشعر هذه المرة بالهزيمة والغدر به..

في شوارع مصر الآن انتشر الضياع ، والجوع ، والإحباط ، وعدم الأمان ، والبطالة ، وفتاوى التكفير ، وعدم الثقة بيننا ، والاستقطاب الخارجي ، وبين كل هذا تمدد الاقتصاد في غرفة الإنعاش في انتظار إعلان وفاته..

هناك من قسّم الشعب المصري إلى ثلاثة أقسام ، فالقسم الأول هم الإسلاميون ، والثاني هم الكفرة النصارى ، والثالث هم العلمانيون من المسلمين ، ويجرى الآن إلحاق القسم الثالث بالقسم الثاني بغرض الحشد الشعبي للمشروع الإسلامي ..

هناك من أصدر قرارات فئوية تخدم مصالحه ومصالح جماعته ومؤيديهم ، ضاربا عرض الحائط بالأغلبية العظمى للشعب الوسطى المتسامح على مر تاريخه ، فأحدث شرخا عميقا وهز القواعد والبنيان هزا عنيفا ، وملاً الصدور وجرح المشاعر ..

هناك في فضائية دينية من جاء يزف إلى المصريين بشرى التطهر من الذنوب بتدمير الأهرامات بحجة أنها من جلبت لنا اللعنات من الله ، حجة عصره يدعى أن الناس يعبدونها من دون الله ..

هناك في فضائية دينية ثانية من أفتى بتدمير الآثار الذهبية التي تحتويها المتاحف ونشر تلك الذرات الذهبية في صحراء مصر ، فالعلامة الفقيه يرى أن الانتفاع بذهب تلك التماثيل بعد تدميرها يعد إثما عظيما يحاسب الله تعالى عليه ..

هناك في فضائية دينية ثالثة من قال أن أمريكا لا تدفع لنا مساعدات بل تعطى صاغرة " جزية " ، يوجه الفقيه الدستوري نصائحه الغالية إلى أولى الأمر بأن يبتئوا من التعامل مع أمريكا حتى لا تتعود معنا على ذلك !

هناك في فضائية دينية رابعة من أوصى بنسخ تماثيل شمعية تشبه التماثيل الصخرية ثم يتم تدمير تلك التماثيل الصخرية في مرحلة تالية ، لم تتح لي فرصة كي أسأل نابغة عصره :

كم من الشمع نحتاج لنسخ تماثيل سفنكس ؟!

هل سنستخدم الكوز أم الجردل في صب سفنكس الشمعي ؟!

كيف سنتجنب ذوبان الشمع في صيف مصر الحار ؟!

هل نأتي بالمرآوح من حوله لمنع ذوبانه ؟!

ماذا نفعل لو تمسكت جماعة دينية أخرى بتطبيق نظرية الشمع على الأهرامات أيضا وقامت ميليشياتها بمحاصرة بعض الأماكن الحيوية في مصر ، كمبنى المحكمة الدستورية مثلا ؟!

هناك في فضائية دينية خامسة جلس أحد الفقهاء وقال : " هذه التماثيل لم تكن موجودة في وقت الصحابة وإلا لقاموا بتكسيروها ، إنها مكتشفة حديثا ، منذ عدة مئات من السنين فقط " ..

هناك في فضائية دينية سادسة وقف فقيه من الفقهاء - يضرب البيض في كل شعره - يكفر زميله الفقيه الآخر ، لقد أنكر عليه دينه وأخرجه من الملة ، لماذا ؟ لأن الثاني قام بتأييد طرف سياسي لا يحبه الأول !

هناك في فضائية دينية **سابعة نصح** العلامة - يشبه الحاخامات إلى حد بعيد - مقدمي البرامج بإبعاد الكاميرات إلى أبعد حد عن وجوه الرجال ، السبب من وجهة نظر مرجع قرنه أن النساء المشاهدات في المنازل لوجوه الرجال يصبن بالفتنة ..

**لم تكن الفتاوى هي العامل المشترك** الذي جمع هؤلاء الفقهاء الذين ذكرت القليل منهم على عجالة لضيق المكان ، بل إن هناك مشتركا آخر جمع بينهم ، إنه السحنة ، أنظر إلى سحنة الوجه ، ستجدهم يشتركون فيها .. وبالإضافة إلى السحنة تجدهم جميعهم يتحدثون بابتساماة مآكرة بغرض إيقاع الفريسة في الشباك ، والأسلوب يغلب عليه الثقة للإيحاء بأن المستمع هو الذي لا يفهم ، ينظرون إلى الكاميرا نظرة العالم بنواصي الأمور ، يعطون للمشاهد شعورا بأنهم من سيتولى إدخاله الجنة ، فقط عليه التنفيذ لكل ما يأمرونه !

**هل هناك إنسان يتمتع بالحد الأدنى من المشاعر** في هذا البلد لا يرى خطف أولاد المسيحيين الأغنياء وطلب الفدية من ذويهم ؟ ، إذا كنت لا تصدق فاعلم أن هذه الحوادث قد انتشرت في طول مصر وعرضها ، ومدينة ملوي وحدها في المنيا يوجد بها خمسون حالة تقريبا حتى الآن ..

**هل هناك متابع لا يرى التبشير الإسلامي المكثف** لفتيات النصارى في مصر الآن ؟ كنت في مصر في يناير الماضي ، في أحد المحلات كنت انتظرت انتهاء مشتريات وكان التلفاز على إحدى القنوات الدينية ، مقدم البرنامج لديه لحية طويلة ويجلس أمامه جمهرة من أمثاله ، إنه يقدم فتحا جديدا للمسلمين : لقد تم هذا الشهر إشهار إسلام خمسين فتاة من فتيات النصارى ، تكبير ( يردون عليه الله أكبر ) ، يفعلوها ثلاثا ..

**ماذا يكون شعوري لو غادرت منزلي** هنا في ميزوري وجاءت جارتنا الأمريكية لنشر التبشير في منزلي بعد مغادرتي ، فتحول أولادي إلى المسيحية بسبب ما فعلت جارتني ؟ ، هذه بتلك ، وما لا ترضاه عليك لا تفعله لغيرك

**هل هناك من لاحظ في مصر أن المسيحيين** بطرقون أبواب السفارات في القاهرة لمغادرة مصر بأسرع ما يمكن ؟ من المؤلم أن يولد أجدادك في بلد ما منذ آلاف السنين ثم تجبرك فئة من المعاقين ذهنيا على تركه ، ليس خوفا من التبشير الإسلامي هذه المرة ، بل هربا من الخطف أو القتل ..

**لا أدرى ما هي المتعة في جعل الآخرين** يتركون ما يعبدون ليتبعوك ، بينما في أتباعك من هم بالملايين الذين لا يجيدون قراءة الفاتحة ، وإذا نجحوا سقطوا في فهمها ، فيسرقون ويحلفون كذبا ويعتدون ؟

**أغلبنا يعرف - ولا يريد الاعتراف - أن المسيحي المصري أفضل** عدة مرات من المسلم المصري في سلوكياته ، فهو أقل عنفا وكذبا ، وأبعد غدرا ، وأكثر خلقا ، وأعلى تعاملًا وأمانة .. الخلل هنا يعود إلى أننا لم نزاول الدين سلوكا بل جعلناه طقوسا نزاول بين الجدران فقط ، ثم سرعان ما تدوب تلك الطقوس بمغادرة الجدران ..

**من منا يتذكر أن لندن قد هبت** في مظاهرة ضمت مليون ونصف المليون في عام 2003 احتجاجا على اشتراك جيشها في غزو العراق ؟

لم تزد أكبر مظاهرة في العالم الإسلامي حينها عن خمسين ألف متظاهر ، لم تدم لأكثر من ساعة بفعل الغازات المسيلة للدموع والهرافات وعربات الترحيل إلى السجون المجهولة ، مظاهرة القاهرة ضمت عدة مئات وتفرقت بسرعة في الشوارع الجانبية هربا من بطش البوليس ..

**رد المعاقون ذهنيا بعد سنتين الجميل إلى لندن** لمكافئتها على وقفة مواطنيها بجانب الشعب العراقي ، ففجروا أنفاقها ، وروعوا مواطنيها ، وقتلوا العشرات ، وسموا إرهابهم " غزوة لندن " ، وفي مدريد التي فعلت ما فعلته لندن في إدانة الغزو صب الإرهابيون سمومهم وقتلوا أكثر من مائتين في قطاراتها ..

**كنت محظوظا منذ أيام عندما شاهدت عملا فنيا رائعا** يعطى الأمل لمن لا ينام من كآبة المنظر في مصر ، فرقة مصرية بسيطة في ملابسها ، رائعة في موسيقاها ، أصيلة في ملامحها ، قدمت عملا غنائيا في فضائية غير دينية عن الوحدة الوطنية التي يريد هدمها أصحاب العاهات الذهبية :

لسه فاكر عم مينا بتاع زمان  
المقدس ، اللي كان بيغفوت علينا بالأمان  
حبيه مليون بالحلاوة والبلح وعيونه مليا الكون حنان

عم مينا وشيخ أمين  
الله عليهم لما كانوا بيضحكوا على نكته واحدة  
مش مهم مين يقولها ، المهم النكتة حلوة  
واللي أجمل ، واللي أحلى ، ضحكة طلعا من روحين  
شوف حروف الاسم حتى ، مينا نفس حروف أمين

قدمت الفرقة الرائعة أغنية أخرى بعنوان " روبايكيا " تترجم بصورة فلسفية بالغة الألم بيع القطاع العام في مصر برخص التراب لواجهات تتبع النظام المخلوع :

روبايكيا حاجات قديمة للبيع  
روبايكيا قلوب كتير بضيع  
روبايكيا وكله بكيا وخلصت المواضيع

مين اللي بايع ، مين اللي شارى  
مش مهم ، الكاشيت هي الحكاية وده الأهم  
ما تقلش لا ، ما لكش حق ، يا عم بيع

ذكرني ما قدمته تلك الفرقة الغنائية الأصيلة الرائعة بما كان يفعله شباب الجرافيك في عام 67 على سور مدرسة الزراعة بشوارع الجلاء بمدينتي الجميلة المنصورة ، لكن يبقى السؤال : هل مصر زمان هي نفسها الآن ؟

.رائف محمد الويشى

سانت لويس – ميزورى – أمريكا

[elwisheer@yahoo.com](mailto:elwisheer@yahoo.com)

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

[www.thowarmisr.com](http://www.thowarmisr.com)